إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات – أكتوبر ٢٠٢٤م

عن الإدانة

"الذين يريدون الخلاص لا يفحصون عيوب جيرانهم

بل عيوبهم الخاصة ويعملون على القضاء عليها".

الأب دوروثيؤس من غزة - عن رفض الحكم على الجار

إخوتي الأحباء،

لقد أمرنا ربنا يسوع المسيح قائلاً: **"لاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ."** (لو ٦: ٣٧) إذا بدأ الإنسان في الحكم على كل شخص وكل شيء من حوله، يقول الأب دوروثيؤس: "لا شيء أكثر خطورة، ولا شيء أصعب في التعامل، كما أقول مراراً، من الحكم واحتقار الجار". ثم يواصل قائلاً: "لماذا لا نحكم على أنفسنا وشرورنا التي نعرفها بدقة والتي يجب أن نقدم عنها حساباً لله؟ لماذا نغتصب حق الله في الحكم؟ لماذا نطالب بمحاسبة مخلوقه، عبده؟"

في حديث الأب دوروثيؤس بعنوان "عن رفض الحكم على الجار"، يوضح سبب ميل الإنسان إلى الحكم على الآخرين قائلاً: "يبدأ العقل في نسيان خطاياه ويتحدث بلا فائدة عن جاره، متحدثاً عنه بالسوء، محتقراً إياه، ومن هنا يقع في الشيء نفسه الذي يدينه. لأننا نغفل عن عيوبنا ولا نبكي على موتنا (كما يقول الآباء)، نفقد القدرة على تصحيح أنفسنا وننشغل دوماً بجارنا. لا شيء يغضب الله بقدر ما يجرد الإنسان من حقيقته أو يقوده إلى هلاكه مثل الافتراء أو الإدانة أو احتقار الجار".

يواصل الأب دوروثيؤس شرح الأمور قائلاً: "هناك ثلاثة أشياء متميزة هنا: التشهير بالإنسان؛ إدانته ظلماً؛ واحتقاره. التشهير بالإنسان هو أن تقول إن فلاناً كذب أو غضب أو زنى أو ما شابه ذلك. وقد ارتكب الإنسان بالفعل الافتراء إذا تحدث عن خطايا أخيه كما لو كان يتعاطف معه. أما إدانة الإنسان فهي أن تقول: 'إنه كاذب شرير، أو إنه رجل غضوب، أو إنه زانٍ'. فبهذه الطريقة يحكم الإنسان على حالة روحه ويستنتج عن حياته كلها، قائلاً إنها من هذا النوع ويدينه بناءً على ذلك. هذا أمر خطير للغاية. إذ إنه شيء أن تقول 'لقد غضب' وشيء آخر أن تقول 'إنه سيئ الطباع'، وكما قلنا،

أن تكشف عن كل توجه حياته. إن الحكم على الإنسان بناءً على كل واحدة من خطاياه أمر خطير. كما قال المسيح نفسه: 'يا مرائي، أخرج أولاً اللوح من عينك، ثم تستطيع أن ترى لإخراج القذى من عين أخيك.' ترى، إنه يقارن خطية أخيك بالقذى وحكمك المتسرع باللوح".

عندما يقوم الشخص بهذه الأمور، سيجد نفسه قريباً يحتقر أخاه أو أخته. يشارك الأب دوروثيؤس قصة توضح مدى خطورة الوقوع في الحكم على الآخرين: "إذا كنت تعلم ما يقوله كتاب الأقدمين عن هذا، فسوف يجعلك ترتجف. فقد جلب ملاك [لإسحق الطيبي] روح شخص قد سقط في الخطيئة، وقال له، 'ها هو الشخص الذي حكمت عليه. لقد مات لتوه. أين تأمر بوضعه، في الملكوت أم في العقاب الأبدي؟' هل يمكنك تخيل وضع أكثر رعباً من ذلك؟ ماذا يعني الملاك بكلماته هذه سوى، 'بما أنك تريد أن تكون قاضي الأبرار والأشرار، ماذا تأمر لهذا المسكين؟ هل يجب أن يُعفى أو يُعاقب؟' ارتعب الشيخ القديس بشدة، وقضى بقية حياته يصلي بالتنهدات والدموع والعمل الجاد المستمر ليغفر له هذا الذنب، وذلك رغم أنه سقط على ركبتيه أمام الملاك وتم غفران خطيئته، لأن الملاك قال له، 'ترى، لقد أظهر لك الله كم هو أمر خطير أن تحكم؛ يجب ألا تفعله مرة أخرى.' هذا هو الطريق الذي منحه الله به المغفرة، لكن روح الشيخ لم تسمح له بأن يشعر بالراحة التامة من ألمه وتوبته حتى مات".

يسألنا الأب دوروثيؤس قائلاً: "لماذا نحن مستعدون للحكم على جارنا؟ لماذا نهتم بأثقال الآخرين؟" ثم يذكرنا بأن "لدينا الكثير لننشغل به، فلكل واحد ديونه وخطاياه الخاصة به. إنما الله وحده من يحكم، يبرر أو يدين. فهو يعلم حالة كل واحد منا وقدراتنا وانحرافاتنا وعطايانا، وتكويننا واستعدادنا، وهو الذي يحكم على كل هذه الأمور وفقاً للمعرفة التي يمتلكها وحده... ولهذا لا يمكن للإنسان أن يعرف شيئاً عن أحكام الله. فهو وحده من يأخذ في الاعتبار كل شيء وقادر على الحكم على قلوب كل واحد منا، لأنه هو وحده سيدنا".

يقدم الأب دوروثيؤس الأفكار الصحيحة التي يجب أن نحملها إذا رأينا أو سمعنا عن شخص ارتكب أي خطأ. يجب أن نقول لأنفسنا: "قد تعرف الخطيئة، لكنك لا تعرف التوبة"! وأيضاً، "كيف تعلم كم دمعة قد ذرفها أمام الله؟" إذا فكرنا بهذه الطريقة، فإنها ستمنعنا من الوقوع في خطيئة الحكم على الآخرين.

يعطينا الأب دوروثيؤس التعليمات التالية لتجنب الحكم على جيراننا: "الذين يريدون الخلاص لا يفحصون عيوب جيرانهم بل دائماً عيوبهم الخاصة، ويعملون على القضاء عليها. كان هذا حال الرجل الذي رأى أخاه يخطئ وتنهد قائلاً: 'الويل لي؛ هو اليوم — وأنا غداً!' هل ترى حذره؟ هل ترى استعداد عقله؟ كيف تنبّه بسرعة لتجنب الحكم على أخيه؟ عندما قال 'أنا غداً' أثار في نفسه الخوف من الخطأ، وبهذا زاد حرصه على تجنب تلك الخطايا التي من المحتمل أن يرتكبها، فنجا من الحكم

على جاره؛ ولم يكتفِ بهذا، بل وضع نفسه في منزلة أدنى من أخيه، قائلاً: 'لقد تاب عن خطيئته لكنني لا أتوب دائماً. أنا لست أول من يطلب المغفرة ولا أتوب تماماً.' هل ترى النور الإلهي في روحه؟ لم يكتفِ فقط بالنجاة من الحكم بل تواضع أيضاً. ونحن، أيها البائسون، نحكم بسرعة، نكره بلا تمييز ونحتقر الناس سواء رأينا شيئاً، أو سمعنا شيئاً، أو حتى اشتبهنا بشيء! وما هو أسوأ من ذلك، أننا لا ندع الأمر يتوقف عند الإضرار بأنفسنا، بل نذهب ونبحث عن أخٍ آخر ونقول له: 'هذا ما حدث!' فنؤذيه ونضع الخطية في قلبه أيضاً ولا نخشى القول: 'الويل لمن يعطي جاره شيئاً مظلماً وخطيراً ليشربه!' لكننا نقوم بعمل الشيطان ولا نبالي به. ماذا يفعل الشيطان سوى أن يوقعنا ويؤذينا؟ نحن نعمل معه على تدمير أنفسنا وتدمير جارنا، فالإنسان الذي يؤذي روحه يعمل مع الشيطان ويساعده. أما من يسعى لنفع روحه، فهو يتعاون مع الملائكة".

ثم يشير الأب دوروثيؤس إلى نقطة مهمة جداً حول أهمية محبة جارنا وكيف أن نقص محبتنا لبعضنا البعض يمكن أن يكون سبباً في حكمنا على بعضنا البعض. "كيف نتحمل هذه الأمور ما لم يكن ذلك لأننا لا نملك محبة حقيقية؟ إذا كانت لدينا محبة حقيقية مع تعاطف وعمل صبور، فلن ننشغل بفحص عيوب جيراننا. كما قيل: **'المحبة تستر كثيراً من الخطايا'**، ومرة أخرى، **'المحبة لا تظن السوء... وتغطي كل شيء'**، إلخ. كما قلت، إذا كانت لدينا محبة حقيقية، فيجب أن تكون هذه المحبة نفسها حاجزاً لأي شيء من هذا القبيل، كما فعل القديسون عندما رأوا عيوب الناس. هل كانوا عمياناً؟ على الإطلاق! لكنهم ببساطة لم يسمحوا لأعينهم أن تركز على الخطايا. من الذي كره الخطية أكثر من القديسين؟ لكنهم لم يكرهوا الخطاة في الوقت نفسه، ولم يدينوهم، ولم يبتعدوا عنهم، بل تعاطفوا معهم، ووعظوهم، وواسوهم، وقدموا لهم العلاجات كأعضاء ضعفاء، وبذلوا قصارى جهدهم لشفائهم".

نسأل الله أن يمنحنا "أن نسعى جاهدين لاكتساب هذه المحبة لأنفسنا. لنسعَ إلى اقتناء هذه الرقة تجاه جارنا حتى نحمي أنفسنا من الحديث الشرير عن جيراننا، ومن الحكم عليهم واحتقارهم. دعونا نساعد بعضنا بعضاً، فنحن أعضاء بعضنا لبعض". آمين.